قواعد الاعتدال في الخطاب

وضوابطه في القرآن الكريم

أ.د. خليل رجب حمدان

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

khalil19541955@gmail.com

ISSN: 2071-6028

ISSN: 2071-6028

قواعد الاعتدال في الخطاب وضوابطه في القرآن الكريم

أ.د. خليل رجب حمدان
جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

تواجه الأمة اليوم تحديات حضارية ضخمة، تمتد على واجهات متعددة، تسعى إلى تحريف بنيتها الفكرية، وتوجيه تدافعها مع معوقات مسيرتها الحضارية نحو الصراع مع نفسها، مما يحول دون قدرتها على التفاعل مع التطور الحضاري، ويعيق استمرارها في أداء رسالتها الإنسانية. ساعد في هذا قصور خطابها عن مواجهة التحديات، وانحداره عن مستوياته الإيجابية التي كان عليها حينما كان العقل المسلم يتشكل في الرؤى والمبادئ والأفكار من قواعد سامية غذى بها القرآن الكريم وعيه. مشكلة البحث: الرؤى الخاطئة عن الخطاب الإسلامي، التي تتغذى عليها عقول قطاعات من الشباب تدفع بهم إلى التطرف والعنف، وتستغلها بعض الجماعات الفكرية والدوائر السياسية لتحقيق أغراض مصلحية في تنمية التعصب والتشدد. **هدف البحث:** عرض جملة من القواعد التي دعا القرآن إلى ضبط الخطاب بها. **منهج البحث:** استقراء النصوص، ثم تحليلها واستنتاج قواعد الخطاب المعتدل وضوابطه. **أهم النتائج:** إن منظومة القيم التي ندب القرآن إلى ضبط الخطاب بها، ليست مجرد رغبة ذاتية في السلوك الحسن أو النية الفاضلة، بل هي أصل تشريعي يلتزم بها المسلم، باعتبارها صادرة من الوحي، وبها كمال دينه. وأن ما يجرى خلافها، فإنما يأتي من صدى رؤية خاطئة، أو تقليد أعمى، أو نتيجة لضعف الانتماء الديني، وانحرافا عن القيم التي دعا الإسلام إليها. – إن القراءة الفاحصة للنص القرآني يظهر أن حسن القول والتحري في تحسينه يمثل المحور الارتكازي للخطاب، والقاعدة العامة التي ندب إلى تشكيل الخطاب بها. – إن وجوب اتصاف الخطاب بالحسن عام في الأحوال والأشخاص والأماكن، مع المسلم وغيره، البر والفاجر، وفي الخطاب الديني والدنيوي. – في سبيل بناء علاقات حضارية راقية أحاط القرآن الخطاب بمنظومة من الآداب التي ترتقي به أداء وغاية، سواء باعتبار القول في نفسه، أو باعتبار حال المخاطب.

الكلمات المفتاحية: قواعد ، خطاب ، ضوابط

Measures of Moeration in Discourse and its Rules in the Holy Quran

Prof. Dr. Khaleel Rajab Hamdan al-Kubaisi

Abstract: Today, the nation faces great cultural challenges on different fronts. These challeges aim to blur the nation's intellectual texture and direct its cultural move towards self-conflict. Cobsequenly, this would weaken its potential for interraction with cultural developments and hinder its progress in achieving its human mission. This has resulted in the inability of its dicscourse to confront challenges, rather it has declined from its positive levels when the Muslim mind used to be represented in the visions, principles and thoughts by noble rules enriched by the Holy Quran. In this light, the study addresses the incorrect vision about the Islamic discourse which feeds the minds of a great number of young people. This vision pushes these people towards extremity and violence. In addition, it is exploited by some intellectual groups and political circles to achieve benefits in grwoing extremism and coercion. The study aims to highlight a number of the rules which the Holy Quran identified to control discourse. To achieve this objective, the study adopts the inductive approach to analyze texts and infer rules of moderate discourse and its measures. The findings of the study indicate that the system of values which the Holy Quan identified to control discourse are not a mere self desire within the good conduct or noble intent. Rather, they represent a legislation the Muslim should adhere to. This is because they are elevated and religion is perfected by them. Anything else that opposes these values, stems from an incorrect vision, blind imitation, lack of religious belonging or a deviation from the values which Islam calls for. A keen reading of the Quranic texts shows that good speech and its perfection represent the foundation of discourse and the general rule identified to construct discourse. In addition, discourse must generally be purified when addressing events or people, with Muslims and non-Muslims, the good and the bad, and in the religious and material discourse. Moreover, in order to build civilized and cultivated cultural relationships, the Holy Quran has encapsulated discourse within a system of ethics that elevate it whether in articulation or intent by the addresser or the addressee.

Keywords: rules, speech, controls

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN: 2071-6028

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

فإن الأمة تواجه اليوم تحديات داخلية وخارجية عديدة، منها ما هو ناتج عن قصور خطابها عن مواجهة التحديات، وانحطاطه عن مستوى التطور في مسيرة الحياة، وبما يحول دون قدرتها على التفاعل مع التطور والتسارع الحضاري، ويعيق حركتها في طريق تحقيق أهدافها ورسالتها.

وإن القراءة الدقيقة للنص القرآني والبيان النبوي يظهر لنا أن القرآن الكريم قد رسم لأتباعه منهجا متكاملا في فن القول، وأرسى منظومة سامية لأفانين التعبير عن المعاني والمرادات، تتناسق مع الأحوال والأغراض والمقامات، غرضها الترقي بالخطاب أسلوبا وروحا ومعنى، وكسر أسوار الانغلاق والتعصب والإلغاء، ونسج شبكة العلاقات الاجتماعية وفق قيم التعايش والإخاء.

وإن الخطاب العدل في الإسلام يستند إلى قواعد ثابتة وملزمة، يتشكل بها وعي المسلم، وينضبط بها خطابه في مستوى أكثر انسجاما مع الواقع، ويحافظ على نسق القيم الحضارية مع ما تقتضيه حركة المجتمعات والتعاطي مع الآخر، ذلك أن نسق القيم التربوية التي تنتظم الأفراد والجماعات، هو الذي يشكل الواقع السلوكي لهم، ويحدد فعلهم.

وهذه الدراسة تستعرض باقتضاب جملة من الآداب المطردة أو الغالبة في فن الخطاب وآدابه في القرآن الكريم، تنطوي تحت (قواعد الاعتدال في الخطاب وضوابطه في القرآن الكريم)، وجاءت الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: الإحسان محور الخطاب وقاعدته العامة. درست فيه صور الإحسان في الخطاب ومظاهره، وأظهر القواعد والأصول التي يستمد الخطاب المعتدل شرعيته وقوته الإلزامية منها.

الثاني: وجعلته لمقومات الخطاب المعتدل باعتبار المقال والحال. من حيث صفته وصيغته وطرق أدائه. وموضوع الخطاب ومادته وبناؤه. وما يقتضي ذلك من ضوابط تقيده.

الخاتمة: أوجزت فيها أهم ما استظهرته الدراسة من نتائج.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ISSN: 2071-6028

المبحث الأول: الإحسان محور الخطاب وقاعدته العامة

لقد رسم القرآن الكريم لأتباعه منهجا بالغا في سمو الخطاب والترقي فيه بحسب الأحوال، ووضع اصولا كلية وقواعد عامة تنمي الذوق، وترتقي بالخطاب إلى الغاية في آدابه، تتخذ من الإحسان محورا ارتكازيا للخطاب، فندب الناس إلى اختيار أحسن الألفاظ في الخطاب، وأمرهم بلزوم التحري في تحسينه حتى يرتقوا به إلى غاية ما يمكن الوصف به صيغة ودلالة وتأثيرا وأداء، ومن أهم هذه القواعد:

أولا– حسن الخطاب مندوب إليه مع عموم الأحوال والأزمان والأشخاص، فقد أمر القرآن الكريم بالإحسان في مقاولة الناس، مراعاة لأحوال الخلق، ومداراة لطبائعهم. وقد اطرد ذلك في آيات كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة: ٨٣)، والحسن هو: «عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه»[(١)]، أي: كلموهم طيبا، ولينوا لهم جانبا. وعن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ قال: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان الطعان على المؤمنين، الفاحش المتفحش، السائل الملحف، ويحب الحليم المتعفف»[(٢)].

فهذه الآية تمثل قاعدة الخطاب المعتدل في الإسلام، وأصلا جامعا لكل معاني الحسن واللطف في محادثة الآخرين. فهي تأمر أمرا عاما ومطلقا بالبحث والتحري عن غاية الحسن في الخطاب في كل أحواله وصفاته، وبكل معانيه، فالعموم في حسن الخطاب مطلوب بحسب المخاطب، وبحسب الخطاب في نفسه على السواء[(٣)]. يقول الرازي: «قال أهل التحقيق: كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان في الأمور الدينية؛ فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان، وهو مع الكفار، أو في الدعوة إلى الطاعة، وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلى الإيمان؛ فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ (طه:٤٤)، أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥)، وقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت: ٣٤)، وأما في الأمور الدنيوية؛ فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾»[(٤)].

---

(١) المفردات: الراغب: ٢٣٥.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ١/١٥٠.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣/١٥٤ وينظر أيضا: مجمع البيان: ١/١٥٠.

(٤) مفاتيح الغيب: ٣/١٥٤.

ISSN: 2071-6028

وبالعموم قال أبو العالية وعطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس ومحمد الباقر[١]، يقول أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ: أن هذا العموم باق على ظاهره، وأنه لا حاجة إلى التخصيص. ورجحه عدد من المفسرين واستدلوا له بأنه تعالى قد أمر بعدم سب آلهة المشركين، وأن موسى وهرون عليهما السلام مع جلال منصبهما أمرا بالرفق واللين مع فرعون، وأمر سبحانه محمدا ﷺ بالرفق وترك الغلظة[٢]، وقد اشتملت الآية على عمومات عدة، وبيانها في الآتي:

١- **الأدب في الخطاب مع عموم الناس**، فقد جاء لفظ (الناس) عاما، أي: قولوا للناس كل الناس حسنا، ويعني: خالقوا جميع الناس بخلق حسن، فدل على أن هذا اللون من الخطاب الطيب لا يقتصر على فئة دون أخرى، وإنما مع فئات الناس كافة، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، مبتدعهم ومتبعهم[٣]، ويقول طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل فيَّ حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ؟ فقال: لا تفعل، يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾. يقول عطاء: فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي!! وهذا حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والقريب والغريب، من غير مداهنة[٤]، فعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[٥].

٢- **العموم في وصف القول بالحسن**، (**قولوا حسنا**)، والحسن «هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن»[٦]، قال أبو العالية: قولوا لهم القول الطيب، وحاوروهم بأحسن ما تحبون أن تحاوروا به[٧]، فأفاد العموم في تحسين القول في نفسه، بأن يتصف بالحسن التام في كل أحواله وجوانبه، سواء في لفظه أو في دلالته، في أمور الدين أو أمور الدنيا، في مجال الدعوة أو غيرها. وهو القول المناسب وصفا وصيغة ودلالة وتأثيرا وأداء، فإذا اخترم عنصر من عناصر الحسن فيه -سواء في طبيعة اللفظ أو في دلالته أو في طريقة أدائه- لا يكون موصوفا بالحسن[٨].

---

(١) ينظر: جامع البيان: الطبري: ٢/٢٩٦-٢٩٧، التفسير البسيط: الواحدي: ٣/١١١ ومجمع البيان: ١/١٥٠.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣/١٥٣ والبحر المحيط: ١/٢٤٦.

(٣) ينظر جامع البيان للطبري: ٢/٢٩٧ النكت والعيون للماوردي ١/١٥٤والجامع لأحكام القرآن ٢/١٦.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢/١٦.

(٥) صحيح مسلم: ٤/٢٠٢٦ برقم: ٢٦٢٦ كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء. والمسند: ٥/١٧٣ حديث أبي ذر، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٦) جامع البيان: الطبري: ٢/٢٩٥.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: ابن عطية: ١/١٥٤ وروح المعاني: ١/٣٠٨.

(٨) ينظر: وإرشاد العقل السليم: ١/١٢٣.

ISSN: 2071-6028

٣- **بنى الوصف على المصدر:** (حسنا) للمبالغة في تأكيد الوصف؛ لأن أصل تركيب الجملة: قولوا قولا حسنا، فحذف المصدر (قولا) وأقام صفته مقامه؛ ليدل بذلك على ما يفيده الوصف وما يفيده المصدر معا، بأن يقولوا للناس قولا موصوفا بالحسن، وأن يستمروا عليه بأن يكون كل قولهم حسنا، ولا يقولوا إلا حسنا، ويبالغوا فيه حتى يكون قولهم كأنه هو الحسن في نفسه لإفراط حسنه(١).

ثانيا- الترقي في الخطاب من الحسن إلى الأحسن في حال جدل الخصم ولجاج المخالف: فإذا كان المقام مقام إلزام وإفحام، بأن لجأ المخاطب إلى الجدل ومحاولة الغلبة والإفحام، فإن القرآن الكريم يوجه أتباعه إلى عدم الخروج عن آداب الخطاب مهما ألجئوا إليه، فكلما ازداد المخالف شططا في القول ازداد المسلم حسنا في مقابلته، ولا يكتفى فيه أن يكون حسنا فحسب، وإنما المطلوب أن يكون الأحسن من بين اصناف جنسه، حتى لا يبقى في علمه ما هو أجمل وأحسن مما يقوله، أداء وصيغة ومعنى، يقول ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥)، أي: بالمجادلات التي هي بالغة الغاية في الحسن. فلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح، حتى يشعر أن هدف الداعي ليس هو الغلبة، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق.

فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالأحسن هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها؛ لأن الداعية يدعو في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر!(٢).

ولكي يحد من حماسة الداعية واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للجاجة في الجدل، وإنما عليكم البيان، والأمر بعد ذلك لله.

وجاء بصيغة اسم التفضيل (أحسن) وهو مستعمل في قوة الحسن، أي: يقولوا القول الذي هو بالغ الغاية في الحسن. وذلك يقتضي المبالغة إلى أي حد وتصور مستطاع في تحسينه، بأن لا يبقى في قدرته وعلمه ما هو فوقه في الحسن، مما يتعلق بطبيعة اللفظ المنتقى، وكيفية الأداء، والدلالات والإيحاءات المترتبة عليه، فيكون فيه حث على التحمل وحمل النفس

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٠٧/١، مفاتيح الغيب: ١٥٣/٣ واللباب: ابن عادل: ٤٢٣/١ .
(٢) في ظلال القرآن: ٤٩٧/٤-٤٩٨.

ISSN: 2071-6028

على بذل الوسع إلى أقصى طاقاته في البحث والتحري في انتقاء الألفاظ وصيغها بأكمل ما يمكن أن توصف به من معاني الحسن. وإنما أمر بانتقاء الأحسن في مواجهة الجدل، بينما وصف الموعظة بالحسنة، ولم يأت بها على التفضيل؛ لأن مقام الجدل غير مقام الموعظة، فهذا مقام مخاصمة كلامية وإفحام، وقد لا يقدر معه الإنسان على الصبر وضبط النفس، فيحتاج إلى الاستعلاء على رغبة النفس، وقدرة بالغة في ضبط جماحها، فزاد القرآن الكريم في وصف الخطاب بالأحسن، تأكيدا ومبالغة في لزوم أدب الخطاب مهما كانت أحوالهم ومواقفهم من شدة وإغاظة، فكلما تمادى الخصم في تعنيفه ومخاصمته، لزم ازدياد الداعية أدبا وحسنا في الخطاب، وليس له أن يخرج عن أدبه بأية حال.

ونظير هذه الآية قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٦). أي: لا تجادلوهم بجدال إلا بالجدال الأحسن، والخصلة التي هي أحسن، كمقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، والسورة بالأناة[١]، وهذا نص عام على الجدل الأحسن مع أهل الكتاب سواء في حال الدعوة أو في الأحوال العادية.

وأما قوله بعدها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ فالمراد به: الذين تجاوزا مرتبة الجدال، فلجأوا إلى العدوان، واستغلوا الرفق معهم فحسبوه ضعفا، فاستعملوا معهم الغلظة إذا كان لا سبيل للمقاولة معهم غيرها، وليس المراد بظلمهم إصرارهم على ما هم عليه، وعدم قبولهم الدعوة؛ لأن الجدال الأحسن يكون معهم حال كونهم موصوفين بأهل كتاب، وهم بذلك ظالمون لأنفسهم، وأن الضمير في قوله: (منهم) يعود إليهم حال كونهم أهل كتاب، فمنهم من ظلم من جادله، ومنهم من لم يظلم. فهذا هو منهج الدعوة ودستورها ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة، فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير، فالاعتداء عمل مادي يدفع بمثله إعزازاً لكرامة الحق، ودفعاً لغلبة الباطل.

وقد أرشدت الآية إلى أسلوب من أساليب الجدل الأحسن، وهو تضييق شقة الاختلاف ما أمكن، والدخول من مدخل عوامل الاتفاق، كالاعتراف للخصم بما لديه من قول أو فعل أو معتقد صحيح، وإشعاره بذلك، ولذا عطف: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ إلى آخر الآية على ما قبلها لغرض التعليم لمقدمة المجادلة بالتي هي أحسن. وهذا مما يسمى تحرير محل النزاع، وتقريب شقة الخلاف، وتأصيل طرق الإلزام في المناظرة، وهو أن يقال: قد اتفقنا على كذا وكذا، فلنحتجّ على ما عدا ذلك، فإن ما أمروا بقوله هنا مما اتفق عليه الفريقان، فينبغي أن يكون هو السبيل إلى الوفاق، وليس هو بداخل في حيّز المجادلة، لأن المجادلة تقع في موضع الاختلاف[٢].

---

(١) الكشاف:٣/٤٦١ وروح المعاني:٢٠/١٦٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/١٨٠-١٨١.

ISSN: 2071-6028

واسمع إلى قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء:٥٣). والأرجح أن الآية عامة في مخاطبة المؤمنين وغيرهم، والمعنى: إذا أردتم إيراد الحجة على المخالف فاذكروها بالأسلوب الأحسن، ولا تخلطوها بالسباب والشتم والسخرية والتهديد، ولا تقولوا لهم أي قول يستفزهم أو ينفرهم عن سماع الموعظة، أو مما يغيظهم فيهيجهم على الشر(١).

فأمر النبي ﷺ أن يندب المؤمنين إلى قول: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: «التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة»(٢)، وليس المراد مقالة واحدة، وإنما يكون كل ما يقولونه موصوفا بالأحسن. وندبهم إلى هذا الامتثال بأن وصفهم بالعباد وأضافهم إلى نفسه. وجاء بصيغة اسم التفضيل (أحسن)، فلا يكتفى بالحسن فحسب، وإنما أن يتحروا الأحسن من بين أصناف الخطاب الحسن(٣).

وجزم ﴿يَقُولُوا﴾ على حذف لام الأمر، وهو وارد كثيراً بعد الأمر بالقول، ولك أن تجعل: ﴿يَقُولُوا﴾ جوابا منصوبا في جواب الأمر مع حذف مفعول القول لدلالة الجواب عليه. والتقدير: قل لهم: قُولوا التي هي أحسن يَقولوا ذلك. فيكون كناية عن أن الامتثال شأنهم، فإذا أمروا امتثلوا، مبالغة في الحث عليه(٤).

وجملة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ تعليل للأمر بقول التي هي أحسن، والمقصود من التعليل أن لا يستخفوا بفاسد الأقوال، فإنها تثير مفاسد من عمل الشيطان(٥)، والنزغ: الدخول في الشيء لإفساده(٦)، وأصل النزغ: الطعن السريع، واستعمل هنا في الإفساد السريع الأثر. وهذا تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه، والمقصد الأهم من هذا التأديب؛ تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول؛ لأن القول ينم عن المقاصد. ثم فيها تأديب في مجادلة المشركين، اجتنابا لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم، فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم(٧).

ولتأكيد هذه المراقبة للسان جاء قوله ﷺ الذي يرويه معاذ بن جبل ﷺ في حديث طويل

---

(١) ينظر: الكشاف: ٦٢٨/٢، مفاتيح الغيب: ٣٥٥/٢٠.
(٢) جامع البيان: ٤٦٩/١٧.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣١/١٥.
(٤) ينظر: البحر المحيط: ٦٦/٧ وروح المعاني: ٩٠/٨.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٥/٢٠ والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٧/١٠.
(٦) المفردات: الراغب: ٧٩٨.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٣١/١٥ و١٣٢.

ISSN: 2071-6028

إذ سأله عن العمل الذي يدخل الجنة، ويباعد من النار، فأجابه، ثم أخبره عن أبواب الخير، ثم قال ﷺ له: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١].

ثالثا– التغاضي عن الإساءة في القول ومقابلتها بالإعراض والعفو: وجه القرآن الكريم أتباعه إلى عدم مقابل الإساءة بمثلها سواء في القول أو بالفعل، فأمر بالإعراض عمن واجههم بالسفاهة والفظاظة، ومقابلته بالعفو والتسامح فقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩)، وهو أمر عام فيمن جهل، فإن تعريف الجاهلين تعريف جنس يفيد الاستغراق، ويدخل فيه غير المسلمين دخولا أوليا؛ لأن هذه الآية جاءت في سياق ذكر سفه المشركين، وفي معرض الرد على كفرهم بالله[٢]، فبعد أن عدّ أباطيل المشركين وقبائحهم أُمر عليه الصلاة والسلام بمجامع مكارمِ الأخلاق التي من جملتها الإغضاءُ عنهم، وأن يتساهل معهم ولا يكلِّفهم ما يشُقُّ عليهم، وفيه حضّ على التخلق بالحلم، والتنزه عن منازعة السفهاء[٣]، ذلك أن مواجهة السوء بالسوء، ومقابلة الخطاب المتشنج بمثله يؤدي إلى اتساع المسافة بين المتقابلين، والنفرة من الجانبين، ولا يرتجى أن تبنى على الخطاب مقاصد صحيحة.

والعفو: الفضل وما أتي من غير كلفة. فقوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ يدخل فيه ترك التشدد في كل ما يصلح له؛ ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة، ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف. يقول الطبرسي: «العرف ضد النكر، ومثله المعروف والعارفة، وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول، وتطمئن إليها النفوس»[٤]، فهذه الآية مشتملة على جميع مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير[٥]، قال جعفر الصادق ﷺ: وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[٦]،

---

(١) سنن الترمذي: ١١/٥ رقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه: ١٢١٤/٢ رقم (٣٩٧٣)، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، قال الألباني: صحيح، ومسند أحمد: ٢٣١/٥ رقم (٢٢٠٦٩) مسند معاذ، قال الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) ينظر: زاد المسير: ابن الجوزي: ٧٥/٣ والبحر المحيط: ٣٦٤/٤.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣٠٨/٣ .

(٤) مجمع البيان: ٥١٢/٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٤/٤ .

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧٨/١٥.

ISSN: 2071-6028

لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفوا عن اعتداء، أو إغضاء عما لا يلائم، أو فعل خير واتساما بفضيلة، وهذا معنى قول جعفر الصادق بن محمد ﷺ السابق(١).

فعمت الآية صور العفو كلها؛ لأن التعريف في (العفو) تعريف الجنس، فهو مفيد للاستغراق، فأمر الرسول ﷺ بأن يعفو ويصفح، ولا يقابلهم بمثل صنيعهم كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (آل عمران:١٥٩)، ولا يخرج عن هذا العموم من أنواع العفو في أزمانه وأحواله إلا ما أخرجته الأدلة الشرعية، ثم العفو عن المشركين المقصود هنا أسبق أفراد هذا العموم إلى الذهن من بقيتها(٢)، ولم يفهم السلف من الآية غير العموم، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:٩٩)، وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حن تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب»(٣).

يقول أبو حيان: «هذا خطاب لرسول الله ﷺ ويعمّ جميع أمته، وهي أمر بجميع مكارم الأخلاق، وقال عبد الله بن الزبير ومجاهد وعروة والجمهور: أي اقبل من الناس في أخلاقهم وأموالهم ومعاشرتهم بما أتى عفوا دون تكلّف ولا تحرّج، والعفو ضد الجهد، أي لا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا، ... وأن ذلك حكم مستمر في الناس ليس بمنسوخ، ويدلّ عليه حديث الحر بن قيس حين أدخل عيينة بن حصن على عمر، فكلم عمر كلاماً فيه غلظة، فأراد عمر أن يهمّ به، فتلا الحر هذه الآية على عمر فقرّرها ووقف عندها»(٤).

وبهذا الخلق السامي وصف عباد الرحمن بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢). واللغو هو كل سقط من قول أو فعل، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به. ويدخل فيه سفه المشركين وأذاهم المؤمنين، قال

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٤٠١ .

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤/٣٦٤، إرشاد العقل السليم: ٣/٣٠٨ والتحرير والتنوير: ٨/٣٩٩.

(٣) صحيح البخاري: ٦/٦٠، برقم (٤٦٤٢) كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب خذ العفو وأمر بالعرف.

(٤) البحر المحيط: ٤/٣٦٤.

مجاهد: إذا أوذوا صفحوا[١]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٣).

رابعا– التسامي في دفع سيء القول بأحسن القول: فقد تعالى التوجيه القرآني في الآداب إلى ما هو أسمى، فلم يقف عند التوجيه بعدم مقابلة السيئة بمثلها، وإنما أمر بمقابلة سيء القول بالأحسن من القول، فقال: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت:٣٤)، فيقابل الغلظة باللين، والشدة بالرفق، والسفاهة بالحلم، فإن الصبر على سفاهة المخاطب وغلظة قوله، ومقابلتها بالأحسن هو الكفيل بتليين القلوب، وإصلاح النفوس. وهذا أمر مطلق غير مقيد بحال أو مع فئة دون أخرى، وأيّا ما كان سبب النزول فهو لا يقيد إطلاق صيغة الأمر للمسلمين بأن يقولوا التي أحسن في كل حال.[٢] وفي نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:٩٦). فلا تستخف آراءهم، ولا تسخر من تصوراتهم، ولا تستفز مشاعرهم، بل ابن الخطاب معهم على ما يستشعرهم بالاحترام والتوقير. ومن هنا جاء وصف النبيﷺ للكلمة الطيبة بقوله: «والكلمة الطيبة صدقة»[٣]. فلا ترد السيئة بالسيئة، ثم تنتظر نتائج طيبة تبنى على خطابك، فإن الحسنة لا يستوي أثرها كما لا تستوي قيمتها مع السيئة؛ لأن الصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين. ولذلك قال النبي ﷺ واصفا ميزان قوة النفس، وحقيقة ضبط الانفعالات: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٤].

فالقوي الحقيقي هو الذي يملك ضبط نفسه من الاندفاع وراء الإثارة، ويزن انفعالاته بميزان المصلحة والمفسدة. ويحلم ويكظم غيظه ولا يعمل بمقتضى غضبه. قال عبد الله بن المعتز: «إذا تم العقل نقص الكلام، وإن بدرت من خصمه في جداله كلمة كرهها أغضى عليها، ولم يجازه بمثلها، فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ (الفرقان:٦٣)»[٥].

ومن ذلك قوله في وصف المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٦/٢٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٢٥١-٢٥٢.

(٣) صحيح البخاري: ٤/٥٦ برقم (٢٩٨٩) عن أبي هريرة، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب، وصحيح مسلم: ٢/٦٩٩ برقم (١٠٠٩) كتاب الزكاة، باب أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف.

(٤) صحيح البخاري: ٨/٢٨ برقم (٦١١٤)، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، وصحيح مسلم: ٤/٢٠١٤ برقم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب.

(٥) الفقيه والمتفقه: ٢/٢٤٥

ISSN: 2071-6028

ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (القصص:٥٤)، والدرء الدفع، أي: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى، فإن درأ السيئة بالحسنة من أعظم خصال الخير، وأدعاها إلى حسن المعاشرة، فمن قال لهم سوء يقابلوه من القول الحسن بما يدفعه. كقوله عليه السلام لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»(١)، ومن الخلق الحسن دفع المكروه والأذى بالإعراض عنه ولين الحديث(٢).

ثم مدحهم أيضا على إعراضهم عن اللغو من الكلام، ثم مقابلتهم له بما هو أحسن: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (القصص:٥٥). أي: إذا سمعوا ما قال لهم الجاهلون من الأذى والشتم أعرضوا عنه، ولم يشتغلوا به، ولم يقابلوا السيء بمثله، ولكن يعفون ويصفحون(٣)؛ لأن القول السيء من الشتم والإغلاظ هو لغو لا فائدة منه، ولا يقدم عليه إلا الجاهل الذي لا يفرق بين ما ينفع وما يضر، لذلك كان عباد الله المؤمنين حقا إذا سمعوا اللغو من اللاغين أعرضوا عنه تكرما، لما فيه من رفعة لأنفسهم، وترفعا عن أوصاف الجاهلين، وتكرما وتسامحا مع المسيئين، كما قال في وصف خطاب عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ (الفرقان:٦٣)(٤)، وعن الحسن قال: «حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا. فإنه لا يقدر على نصر الحق إلا مع الإنصاف، وترك التعنت والإجحاف»(٥).

وعلى نحو ذلك جاء قوله: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد:٢٢). فإن لم يقدر على مقابلة الإساءة بالإحسان فلا أقل من أن لا يقابل الإساءة بمثلها كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٦).

وبهذا أيضا جاء التوجيه القرآني: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ (النساء). فبينت الآية كراهته تعالى التحدث بالقول السوء عن الناس، وعدم محبته للجهر به وإعلانه، ثم ختم الآية بصفتين

---

(١) سنن الترمذي: ٣٥٥/٤ رقم (١٩٨٧) أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣١١/٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٥٢٢/٣.

(٤) ينظر:الكشاف:٤٢٦/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٣١٢/٩، إرشاد العقل السليم: ١٩/٧ والتحرير والتنوير: ٧٦/٢٠.

(٥) الفقيه والمتفقه: ٢٤٧/٢.

(٦) صحيح البخاري: ١١/٨ برقم (٦٠١٨)، عن أبي هريرة، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومسلم: رقم (٧٤) كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف.

ISSN: 2071-6028

من صفاته، للندب إلى عدم الجهر بالسوء من القول لما فيها من التلويح بأن الله تعالى لا يخفى عليه ما يكون منكم من قول وفعل؛ لأنه تعالى سميع لما تجهرون به من سوء القول، وعليم بما تخفون منه، وعليم بمقاصد جهركم بالسوء وكتمانكم له(١). يقول الطبري: «وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه، يقول: فاعفوا أنتم أيضا أيها الناس عمن ألحق بكم أو أسمعكم ظلما، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم وأنتم تعصونه وتخالفون»(٢).

خامسا– الحوار الحضاري بالحكمة والموعظة الحسنة في الخطاب الدعوي: فقد حدد القرآن لنبيه محمد ﷺ أساليب خطابه للناس في دعوته لهم فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥)، فهذا هو أسلوب الدعوة ما دامت في دائرة الخطاب، دعوة تقوم على الحكمة وتتصف بالموعظة الحسنة، لا غير. والحكمة: الكلام الظاهر صوابه، القريب من النفس، القائم على الدليل الموصل إلى الإقناع. فهي الصواب في القول والعمل. والدعوة بالحكمة هي: النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، وما يناسب مراتبهم الإدراكية ومقاماتهم، والقدر الذي يصلح لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه. فيعلم أن المدعوين أصناف وأقسام بحسب انتماءاتهم: فمنهم الملحد، ومنهم المشرك الوثني، ومنهم أهل الكتاب، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم العاصي، والمسلم الذي يحتاج إلى التعليم. ثم هم أيضا يختلفون في قدراتهم العقلية، وفي إمكاناتهم الثقافية، ويتباينون في مستوياتهم العلمية، ومراكزهم الاجتماعية، ففيهم العالم والمثقف، وفيهم الأمّيّ، وفيهم بينهما، وهذا رئيس، وهذا مرؤوس، وهذا غني وهذا فقير، وهذا صحيح وهذا مريض، وهذا عربي وهذا أعجمي.

والموعظة الحسنة: وهي الخطابات المقنعة التي لا يخفى على المخاطبين أنك تناصحهم بها، وهي التي تتصف بالحسن في ألفاظها وصفاتها وطرق أدائها، هي التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ(٣).

وانتقى القرآن لهذا الأسلوب من التخاطب لفظ: (الوعظ)؛ لما يحمله بالوضع والاستعمال

---

(١) ينظر: جامع البيان: ٣٤٣/٤ وإرشاد العقل السليم: ٢٤٨/٢.

(٢) جامع البيان: ٣٤٣/٤.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٣٩/١٢–١٤٠ وفي ظلال القرآن: ٤٩٨/٤.

ISSN: 2071-6028

من دلالة مقصودة؛ لأن الوعظ –كما يقول الخليل هو: التذكير بالخير فيما يرق له القلب[١].

وإذا لجأ المخاطَب إلى المخاصمة والجدال، لزم الداعية أن يجادل بأحسن صناعة الجدل، وينتقي أحسن الألفاظ، ولا يرفع الصوت ويطلب المخاصمة[٢]؛ لأن الجدل ليس من طرق الدعوة، يقول الرازي: «أما الجدل فليس من طرق الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة، وهو الإلزام والإفحام، ولهذا لم يقل: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ– والجدل الأحسن) بل قطع الجدل عن باب الدعوة، تنبيها على أنه لا يحصل الدعوة»[٣].

المبحث الثاني: مقومات الخطاب المعتدل باعتبار المقال والحال

إن وصف القول بالحسن تنتظم فيه مجموعة من الضوابط التي تتعلق بصفته أداء وصيغة، وبما يحيط بالخطاب ويصاحبه، نلمح إليها باقتضاب:

أولا– اللين في القول: إن القول اللين لا يثير العزة بالإثم؛ ولا يهيج الكبرياء الزائف، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة ما هو عليه. والداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يُبلِّغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار.

لذلك أمر القرآن باللين في الخطاب، وهذا يتضمن نهيا عن ضده، كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه)، فوصف القول الذي أمرا أن يقولاه لفرعون باللين، وهو ما يشعر المخاطب بالتلطف معه، والرفق به، والشفقة عليه، وأن رحمة الله وعفوه غالب على غضبه، يقول ابن كثير[٤]: «وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة».

وقد بين الله تعالى لموسى عليه السلام في موضع آخر ما أجمله في هذه الآية من سورة طه، موضحا له أسلوب الخطاب اللين، على سبيل ضرب المثل لكيفية مخاطبته، فقال له: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ (النازعات)، فبين هنا تفصيلا بعض ما أجمل في سورة (طه) من لين القول ولطف الاستدعاء في الخطاب، أي: بهذا اللين واللطف خاطبه، ولا تظهر خشونة أو تعاليا على مخاطبك، وإنما بأسلوب طرح السؤال، والعرض والتحضيض والترغيب، وتلحظ هذا في استخدام (هل) في موضعها، وما تفيده من الاستفهام مع طرح أمر الرغبة بما يخاطبه به إليه، وعرض المسألة ثم ترك الأمر له وشأنه، فكأنه يقول له: هل لك رغبة وحاجة، هل لك ميل إلى ذلك؟ تلطفا في الطلب، ومدراة في الاستدعاء، ثم في حذف التاء من

---

(١) المفردات: الراغب: ٥٢٧.
(٢) جامع البيان: ١٣١/١٤ وتفسير ابن كثير: ٥٩١/٢.
(٣) مفاتيح الغيب: ١٤٠/٢٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١٩٧/٣.

ISSN: 2071-6028

(تزكى) وأصلها (تتزكى) لإفهام الأدنى بما يشير إليه إسقاط تاء التفعل المقتضي للتخفيف، أي: ولو بأدنى أنواع التزكي، وأيّ تزكية تشاء[١]، ثم بمادة اللفظ (تزكى) فإن التزكي هو التطهر من النقائص والتحلي بالفضائل، وجاء اللفظ عاما في التزكي، دون التصريح باتباعه، أو بأن تسلم، فلم يقل له: هل لك أن تتبعني؟ أو: هل لك أن تؤمن؟ مراعاة لحسن العرض والاستدعاء بألفاظ ألطف وأكثر ملاءمة لحال المخاطب[٢]، كل هذا التلطف كان مع فرعون، فكيف الحال مع غيره.

وهو الذي سلكه الأنبياء والمرسلون جميعا في مخاطبتهم لأقوامهم من المشركين، فمع بناء خطاباتهم على الحجة والبرهان الذي يقنع العقل، ويحرك العاطفة، فإنهم يجرونه في النسق السامي من أدب الخطاب، لينا في القول، وحسنا في الإشارة، وتلطفا في المآخذة[٣].

وبذلك جاء الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام: إنك خليلي، حسن خلقك ولو مع الكفار، تدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه: أُظله تحت عرشي، وأُسكنه حظيرة القدس، وأُدنيه من جواري»[٤].

وهكذا كان خلق النبي محمد ﷺ مع قومه، فقد وصف القرآن الكريم ما كان عليه خطابه من الرفق واللين مع الناس، ولم يكن يأخذهم بالشدة والتعنيف، فترتبت عليه النتائج والمقاصد المرجوة وكما وصفه القرآن: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم؛ فجعلته ﷺ رحيما بهم لينا معهم. ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، لأن الناس بحاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم. وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة[٥].

وعلى هذا النحو من الأدب الراقي في الخطاب جاء التوجيه النبوي، فعد الرفق من

---

(١) الكشاف: ٦٩٦/٤، البحر المحيط: ٣١٦/٨ ونظم الدرر: ٣٢٣/٩.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٨٧/٦.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١٠/١٧.
(٤) المعجم الأوسط: الطبراني: ٣١٥/٦.
(٥) في ظلال القرآن: ٤٧٦/١.

ISSN: 2071-6028

الصفات التي يحبها الله تعالى في كل أمر، ويثيب عليه ما لا يثيب على غيره، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبيﷺ قال: « يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(١)، وأن لين القول والرفق بالمخاطب زينة للمرء، وضده يشين المرء ويعيبه، فعنها رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»(٢).

وجاء جماعة من اليهود فدخلوا على النبيﷺ فقالوا: السام عليك يا محمد –يعنون الموت–، وليس مرادهم السلام، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها قالت: عليكم السام واللعنة. وفي لفظ آخر: ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال رسول الله ﷺ: «مَهْلا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»(٣)، فالنبي ﷺ رفق بهم وهم يهود، مكذبون له، وحال تعرضهم له بالسباب والشتيمة وتمني الموت، لكنه ﷺ راعى أدب الخطاب، وحسن القول بصرف النظر عن موقف المخاطب. وهكذا كانت سيرته ﷺ، يروي معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ ﷺ قال: «بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شأنكم تنظرون إِلَيَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتُونَنِي، لكنِّي سكتُّ. فلما صلى رسول الله ﷺ فَبِأَبِي هو وَأُمِّي ما رأيت مُعَلِّما قبله ولا بعده أَحْسَنَ تَعْلِيمًا منه، فوالله ما كَهَرَنِي ولا ضربني ولا شتمني، قال: إنّ هذهِ الصّلاةَ لا يَصْلُحُ فيها شيْءٌ من كلام النّاس إِنَّمَا هو التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، أو كما قال رسول الله ﷺ»(٤)، وفي رواية: «فما رأيت معلما قط أرفق من رسول الله ﷺ»(٥).

ومن ذلك ما كان منه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد، فعن أبي هريرة قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَلاَةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا» يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ(٦)، فترى أنه ﷺ لم ينتهره ولم يعنفه، ولم يزد على ما قاله له بلين ولطف معلما.

---

(١) صحيح مسلم: ٢٠٠٣/٤ برقم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق.
(٢) صحيح مسلم: ٢٠٠٤/٤ برقم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق.
(٣) صحيح البخاري: ١٢/٨ برقم (٦٠٢٤)، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، و١٦/٩، (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي بسب النبيﷺ، وصحيح مسلم: ٦٠/٥، برقم (٢١٦٥) كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء اليهود بالسلام.
(٤) صحيح مسلم: ٣٨١/١ برقم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، وكهر ونهر وقهر متقاربة، أي: لم ينتهرني ولم يغلظ عليّ.
(٥) سنن أبي داود: ٣٠٨/١ رقم (٩٣١) باب تشميت العاطس، قال الألباني: ضعيف. والسنن الكبرى: البيهقي: ٣٥٤/٢ (٣٣٥٠).
(٦) صحيح البخاري: ١٠/٨، برقم (٦٠١٠)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

ISSN: 2071-6028

ثم لم يلبث أن قام هذا الأعرابي فبال في المسجد، وقام الصحابة لينهروه وهاجوا عليه وتناولوه، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، وقال: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(١)، وفي رواية: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»(٢). وذلك لأن النفوس مجبولة على سماع الجميل من القول، ومطبوعة على حب من يتلقاها باللين، ويبسط لها في المحيا. ونافرة عن سماع ما لا يتلاءم مع فطرتها، أو يخدش كرامتها. ولذلك قال ميمون بن مهران: «التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم»(٣).

والشدة قد تدفع إلى المكابرة والنفور والإصرار، فتأخذ النفس العزة بالإثم. فالتعامل المؤثر ما كان دمثا يفتح القلوب ويشرح الصدور. فعن الأصبغ بن نباتة الأسدي قال: قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: «من لانت كلمته وجبت محبته»(٤).

ويروى أن المأمون وعظه واعظ فأغلظ له في القول فقال: يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾(٥).

ثانيا– غض الصوت: فنهى عن رفع الصوت، وعن الزعيق مع من تخاطبه، مهما كان شأنه؛ لأن رفع الصوت منفر للسامع، ومحط من قدر المتكلم، وبهذا جاء التوجيه القرآني في قوله تعالى في حكاية موعظة لقمان لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩)، أي: انقص منه واخفضه، فلا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي(٦)، يقول القرطبي: «وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو

---

(١) صحيح البخاري: ٥٤/١، برقم (٢١٧) عن أنس، باب صب الماء على البول في المسجد، ورقم (٥٧٧٧) باب وكان يحب التخفيف والتيسر على الناس. ورقم (٥٦٦٤) باب رحمة الناس والبهائم. وسنن أبي داود: ١٥٧/١ رقم (٣٨٠) عن أبي هريرة، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح مسلم: ٢٣٦/١ برقم (٢٨٥) عن أنس، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات. ولا تزرموه، أي: لا تقطعوه.

(٣) ينظر: الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي: ١٠/٣.

(٤) الفقيه والمتفقه: ٢٧٠/٢.

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين: ٣٣٥/٢.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦٦/١٤ وتفسير ابن كثير: ٥٨٨/٣.

ISSN: 2071-6028

بترك الصياح جملة،... فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾، أي: لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار، فجعلهم في المثل سواء»(١).

وانتقى لخفض الصوت كلمة: (اغضض) لما لها من دلالة دقيقة ورائعة، فاللغض في اللغة أصلان صحيحان، أحدهما: الخفض، والثاني: الطراوة(٢)، فيكون المعنى: اخفض صوتك فلا تجعله زعيقا، ولا ترفعه بدون حاجة، واجعله طريا لينا مع من تتحدث إليهم وتحاورهم. وكلاهما يناسب أدب الخطاب، ومندوب إليه في الدعوة والحوار.

ثالثا– إظهار الإنصاف للخصم: وهو أدب حسن في كل الأحوال، ومع جميع المخاطبين؛ غرضه دخول المخاطب في المقصود بألطف طريق، وتظهر فائدته أكثر في باب محاجة الخصوم، بأن يورد كلامه على سنن الإنصاف، مبتعدا عن دواعي الجدل والاعتساف، مثل قوله تعالى عن موسى عليه السلام على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر:٢٨).

فإن مدار هذا الاستدلال بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، مبني على إظهار الإنصاف وترك اللجاج؛ لأن المقصود منه: إن كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصوراً عليه، وإن كان صادقا فلا أقل من أن يصل إليكم بعض ما يعدكم. فقدم من شقي الترديد والاحتمال احتمال كذب موسى عليه السلام على صدقه، وهذا ما يدّعونه، مداراة لهم، وعملا بباب التسامح، وعدم التعصب، وإظهارا للإنصاف، وإرخاء للعنان معهم(٣)، وهذا نوع من أنواع علم البيان تسميه العلماء: استدراج المخاطب(٤).

ومنه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤). فبنى الحجة على وجه الأدب في الخطاب، من حيث الإنصاف المستنزل مع المقابل، كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: أن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى أحد الأمرين من الهدى أو الضلال، ولم يدع لنفسه فقط الحق والهدى، بل أخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال، وهذا في غاية البعد عن التعصب، وأبلغ في الإنصاف من التصريح، فإن كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك(٥). وهو إرشاد من الله لرسوله ولأمته إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها، وذلك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧١/١٤

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣٨٣/٤.

(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ١٢٧/٥، إرشاد العقل السليم: ٢٧٤/٧ والتحرير والتنوير: ١٨٤/٢٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٤١٣/٩.

(٥) ينظر: الكشاف: ٥٩٠/٣–٥٩١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١٤، أنوار التنزيل: ٩١/٥

ISSN: 2071-6028

لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ، يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا شك في أنه مخطئ، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز منه، فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر، ويترك التعصب، وهو أهم وسائل التقريب(١).

رابعا– التيسير والتبشير بدل التعسير والتنفير: فإن التشديد على المخاطب، سواء في التهديد والوعيد، أو في المبادئ والأحكام قد يقوده إلى النفرة وعدم التحمل، مما يفرغ الخطاب مما يرتجى منه، وهذا داخل في مدلول الدعوة بالحكمة، وأن من مقاصد التشريع التخفيف عن العباد، وأن رفع الحرج عنهم قاعدة مطردة في أحكامه، فقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ (المائدة:٦)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (الحج:٧٨)، أي: ضيق، فما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا(٢)، وأنه تعالى يريد التيسير بالناس ولا يريد بهم التعسير: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، واليسر في اللغة معناه السهولة، ومنه يقال للغني والسعة: اليسار؛ لأنه يسهل به الأمور، والمراد التسهيل والتخفيف ورفع الضيق والمشقة(٣)، كما قال النبي ﷺ : «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»(٤).

وعلى هذا جاء في الصحيح عن سعيد بن أَبي بُرْدَة عن أَبيه عن جده، أن النبيّ ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن فقال لهما: «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا»(٥)، وهو من باب المقابلة المعنوية؛ لأن الأصل أن يقال: بشّرا ولا تنذرا وَآنِسا وَلا تنفرا. فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة والتَأنِيس والتَّنْفِيس. وأن النكتَة في الإتيان بلفظِ البشارة هو الأَصل، وبلفظِ التَنفير وهو اللازم، وللإشارة إلى أَنّ الإنذار لا ينفى مطلقا بخلاف التنفير، فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير، فكأنه قيل: إن أنذرتم فليكن بغير تنفير، كقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾»(٦).

وبمثل هذا جاء ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا»(٧)، فقوله: (يَسِّرُوا) هو أمر بالتيسير، والمراد: «الأخذ بِالتسكين تارة وبالتّيسير

و٤/٤٠٠، إرشاد العقل السليم: ١٣٢/٧ و٢٧٤/٧ وروح المعاني: ١٤٠/٢٢.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٢٢/٢٥ والبحر المحيط: ٢٠٧/٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٤٥٥/٥.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٧٨/٥ وتفسير القرآن العظيم: ٥٠٤/١.

(٤) مسند أحمد: ٤٧٩/٣ برقم (١٥٩٧٨)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال الأرنؤوط: حسن.

(٥) صحيح البخاري: ٦٥/٤، برقم (٣٠٣٨) كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع.

(٦) فتح الباري: ١٥٣/١٢.

(٧) صحيح البخاري: ٣٠/٨ برقم (٦١٢٥) كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا.

ISSN: 2071-6028

أخرى، مِن جِهَة أَنَّ التنفير يُصاحب المشقّة غالبا، وهو ضد التسكِين، والتّبشير يصاحب التسكين غالبا، وهو ضد التنفير»[١].

وإنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأنه قد يقع فعلهما في وقتين، فلو اقتصر على (يسروا) لصدق ذلك على من يسر مرة واحدة أو مرات محدودة، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: (ولا تعسروا) انتفى التعسير في جميع الأحوال ومن جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب. وهكذا في الأمر بالتيسير والاتفاق، والنهي عن التنفير والاختلاف؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت، وقد يتوافقان في شيء ويختلفان في شيء. ويدل الحديث على الأمر بالتبشير بفضل الله، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير. وهذا يفيد أن التيسير والتخفيف مع الناس أولى من التشديد، واللين مقدم على الزجر، والدعوة إلى ترك المنكر ينبغي أن تكون بتلطف لتقبل[٢].

خامسا– رعاية مشاعر المخاطب: وذلك بالابتعاد عن كل ما يشعر المخاطب بالإساءة إليه، سواء في نفسه أو معتقده؛ لأن لفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم التصريح بالتخطئة للطرف الآخر، والابتعاد عما يجرح مشاعر الآخرين، من التشهير والتعيير، أو الإشعار بالذل والهزيمة، له أثره في الإنصات والسماع، وفي تقدير المقال والتسليم للحق، لأن النفوس لا تتحمل أن تواجه بالانتقاص من كرامتها ومكانتها، أو تجابه بقوة وصرامة تهيج مشاعرها، فذلك من شأنه أن يستثير الرغبة بالمعاندة والمخالفة بقصد الإفحام والمغالبة، والمقابلة بالمثل. وهذا يحتاج لتحقيقه مراعاة جملة من الآداب في الخطاب:

١– تقدمة الخطاب بما يشعر بالتلطف: فعلى المتكلم أن يبني فاتحة كلامه مع مخاطبه على ما يشعر بالتلطف معه والتوقير له؛ لأن من شأن مواجهته بما يشعره باحترام مخاطبه له أن يلفت سمعه بإنصات، وقلبه بإصغاء، وهذا ما دأب عليه خطاب الأنبياء عليهم السلام وأصفياء الخلق لأقوامهم ومخاطبيهم، فكان كل نبي يبدأ خطابه لقومه بقوله: (يا قومي) إشعارا لهم بالحرص عليهم، والمحبة لهم، والسعي في خيرهم، كما جاء خطاب نوح عليه السلام لقومه بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف:٥٩)، ومثله قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف:٦٥)، وهكذا سائر الرسل عليهم السلام، فإن كلا منهم كان يفتتح خطابه لقومه بندائهم بقوله: (يا قوم)، فينسب نفسه إليهم، وينسبهم إلى نفسه، متلطفا بهم بتوجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، وإثارة حساسيتهم، لعله يجد منهم

---

(١) فتح الباري: ٣١٠/١٧.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: ٤١/١٢ وفتح الباري: ١٦٣/١.

قبولا[١].

بل إننا نجد القرآن ينبه بما يقصه علينا من تاريخ الأنبياء والأصفياء إلى المبالغة في ذلك إلى حد ترقيق الخطاب وتحسينه، فيخبرنا عن نوح عليه السلام إذ يخاطب ابنه فيقول له: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ (هود:٤٢)، فلم يقل: (يا ابني) كما لم يناده باسمه، وإنما أتى بندائه بصيغة التصغير (بُنَيَّ)، والتي يراد بها الترقيق والتحبيب والتلطيف معه، مبالغة في حسن الخطاب، مع أنه ليس مؤمنا به.

وهكذا تجد خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك مبالغا في إظهار محبته له، وشفقته عليه، وتلطفه معه بقوله: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ (مريم:٤٢)، ثم يكرر افتتاح خطابه له بالنداء بـ(يا أبت) أربع مرات، لزيادة الاستعطاف والترفق، وإظهار الشفقة والمحبة[٢]، قال الشوكاني: «وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه وامتثالا لأمر ربه»[٣].

ومثله خطاب لقمان لابنه المشرك: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ (لقمان:١٣)، ويكرر لقمان هذا النداء معه ثلاث مرات، ويبنيه على صيغة التصغير تحببا، كل ذلك على المبالغة في تحسين الخطاب، شفقة وترقيقا للخطاب، ومبالغة في التلطف فيه[٤].

وهكذا كان النبيﷺ يضرب الأمثال في مثل هذا الأدب السامي، معلما لأصحابه وأمته، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ: «يكني أصحابه إكراما لهم، وتسنية لأمورهم، واستلانة لقلوبهم»[٥].

٢- الابتعاد بالخطاب عن السباب والتقذيع: سواء لشخص المخالف أو لمعتقده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٠٨)، فنهى عن سب المشركين وسب آلهتهم ومعتقداتهم، مهما كانت باطلة؛ لأن الناس مجبولون على استحسان ما يعتقدون، وأن سب معتقداتهم أو

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ١٨٧٣/٤.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٨/٤.
(٣) فتح القدير: ٤٧٩/٣.
(٤) ينظر: جمع البيان: ٣١٩/٤، الجامع لأحكام القرآن: ٦٣/١٤، أنوار التنزيل: ٣٤٧/٤، إرشاد العقل السليم: ٧١/٧ وروح المعاني: ٥٩/١٢.
(٥) رواه الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه: ٢٧/٣ رقم (١٩٤).

ISSN: 2071-6028

السخرية من تقاليدهم وتصوراتهم لا يزيدهم إلا عنادا، وقد يلجئهم إلى ما فيه إساءة وضرر أكبر[١]، «وبالجملة فهو تنبيه على أن خصمك إذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه؛ فإن ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة، وذلك لا يليق بالعقلاء»[٢]، وهذا هو الأدب اللائق بالمؤمن الواثق من سلامة دينه وصحة معتقده.

٣- الابتعاد بالخطاب عن السخرية أو التقليل من شأن المخاطب: وبهذا جاء التوجيه القرآني بالنهي عن السخرية والهمز واللمز والنبز نهيا عاما كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الحجرات:١١). فأمر بالابتعاد في الخطاب عن ذكر معايب الآخرين إذا كانت فيهم، وأشنع منه نسبتهم إلى ما ليس فيهم[٣]، ونهي عن الجهر بالسوء أو الإفحاش في القول، والتحدث بعيوب الآخرين، فقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٨).

٤- الابتعاد عن الألفاظ الموهمة: فمن أدب الخطاب أن يتخير من الألفاظ ما تكون معانيها واضحة، ودلالتها غير محتملة خلاف مقصده، حتى لا توقع المخاطب بالتوهم بحمل اللفظ على معان غير حسنة، وعلى نحو هذا جاء نهيه تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (البقرة:١٠٤)، يقول أبو حيان: «وقد تضمنت هذه الآيات الشريفة أشياء منها: افتتاحها بحسن النداء، وإثبات وصف الإيمان لهم، وتنبيههم على تعلم أدب من آداب الشريعة، بأن نهوا عن قول لفظ لإيهام مّا إلى لفظ أنص في المقصود، وأصرح في المطلوب. ثم ذكر ما للمخالف من العذاب الذي يذله ويهينه»[٤].

٥- الجنوح إلى التلميح والتعريض: لقد جاء التوجيه في القرآن الكريم والسنة الشريفة بتحلية الخطاب في النصح والإرشاد على التلميح والتعريض بدلا من التصريح، إذا كان في التصريح جرح للمشاعر، ونفرة من سماع القول، وذلك لتمليح الخطاب بلوازم القول الحسن، ولرعاية مشاعر المخاطبين، ولأجل رفع الحرج عن النفوس، واستثارة داعي الخير فيها.

---

(١) ينظر: جامع البيان: الطبري: ٣٣/١٢، النكت والعيون: ١٥٥/٢ .
(٢) مفاتيح الغيب: ١٠٩/١٣ .
(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٢/٥ مفاتيح الغيب: ٩٨/٢٨ .
(٤) البحر المحيط: ٣٠٥/١.

ISSN: 2071-6028

لأن التصريح بالمعايب والأخطاء كثيرا ما يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار والعناد. وأما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية إلى استنباط معاني الخطاب. وقد قيل لإبراهيم بن أدهم: «الرجل يرى من الرجل الشيء، أو يبلغه عنه، أيقوله له؟ قال: هذا تبكيت، ولكن تعرّض»(١).

وأدب التعريض في الخطاب سنة محفوظة من آداب الخطاب في معالجة الأخطاء، وفي التوجيه والنصح، فكان يبتعد بالنصيحة عن أن تكون تشهيرا، وبالتوجيه عن أن يكون فضيحة. فيعرض ويكني ويلمح دون تصريح، إذا كان في التصريح إثارة للمشاعر، واستفزازا للمخاطبين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»(٢).

وفي القصة المشهورة عن الثلاثة الذين تقالّوا عبادة الرسول ﷺ روى أنس ﷺ قال: «أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه (يعني: لما علم بمقالتهم صعد المنبر وخطب الناس) فقال: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣)، فلم يصرح بأسمائهم، وإنما قال معرضا: «ما بال أقوام»؛ لأن الغرض ليس هو التشهير بالمخطئ أو بصاحب الفعل المذموم، وإنما هو بيان ذلك الفعل المذموم أو القول المذموم والتحذير منه. وفي تعليق للإمام النووي على قوله: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا». قال: «هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا، أنه إذا كره شيئا فخطب له ذكر كراهيته ولا يعين فاعله، وهذا من عظيم خلقه ﷺ، فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه على الملأ»(٤).

وربما لا يصلح حتى التعريض في بعض الأحيان، كأن تقع القصة في بلد صغير، فإن التعريض حينئذ يكون كالتصريح، لأن القصة معلومة لدى الجميع، أما في مجال الخير فلا بأس من ذكر الأشخاص أحيانا مع مراعاة أدب المدح في الإسلام. وكما قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين: ٥٧/١.
(٢) شرح مشكل الآثار: الطحاوي: ١١٤/١٥ برقم (٥٨٨١). وشعب الإيمان: ٤٢٧/١٠ (٧٧٤٥).
(٣) صحيح مسلم: ١٠٢٠/٢ برقم (١٤٠١) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧٦/٩.

ISSN: 2071-6028

تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (النساء:١٤٩).

٦- تحري الإسرار في النصح فيما يقتضي الإسرار: وهذا الضابط متصل بما قبله؛ لأن الناصح الصادق ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة، وإخراج أخيه من غوائلها، والمسارة مع الستر أكثر تأثيرا ووقعا في نفس من تقصد نصحه[١]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النور:١٩).

وكما قال الإمام الشافعي: «من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[٢]، فالمؤمن يستر وينصح، ولا يهتك ويقرع. وهذا من علامات النصح والتوبيخ، فإن النصح يقترن به الستر، والتوبيخ يقترن به الإعلان[٣]، كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك، فأنت مداهن[٤].

الخاتمة

في الختام نستذكر أهم ما بينته هذه الدراسة في نقاط محددة وباقتضاب:

١- إن الفحص السليم للخطاب المعتدل الذي ندب القرآن إليه أتباعه يظهر أن مقاصده الأساسية في الحياة مبني تحقيقها على مراعاة العلاقات الحضارية مع الآخر، وإقامة تعايش سلمي بنّاء بين مختلف مفاصل المجتمع البشري، وهذا ما يتضح من خلال ملاحظة نسق القيم التربوية التي دعا إلى وصف الخطاب بها، ومدى ملائمتها للتحرك في الواقع.

٢- في سبيل بناء علاقات حضارية راقية مع الآخر، فقد أحاط القرآن خطاب المسلم بمنظومة من الآداب والقيم، ترتقي بالخطاب إلى أسمى غاياته، سواء باعتبار القول في نفسه، أو باعتبار حال المخاطب، ووضع له أصولا وقواعد كلية تنمي الذوق، وتهذب السلوك، وتنسج شبكة من العلاقات الاجتماعية وفق معايير أعمق انسجاما مع الواقع، وأكثر استعدادا للتعاطي مع الغير.

٣- إن استنطاق المبادئ والقيم التي دعا القرآن الكريم إلى ضبط الخطاب بها يظهر لنا البنية الفكرية السامية التي تشكل تصور المسلم عن الآخر، وعطاءه في الواقع، وأن ما يجرى

---

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ٩٢. وينظر تفصيل هذا في: الفرق بين النصيحة والتعيير ابن رجب.

(٢) إحياء علوم الدين: ١٨٢/٢. ويروى هذا القول أيضا عن أم الدرداء.

(٣) ينظر: الفرق بين النصيحة والتعيير: ١٧.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين: ١٨٢/٢ .

ISSN: 2071-6028

على خلافها، فإنما يأتي من صدى رؤية خاطئة، أو حماسة غير منضبطة، أو تقليد أعمى بعيد عن الوعي العميق والفكر الحر، أو نتيجة لضعف الانتماء الروحي الذي يضبط فعله، ويكون خروجا على التوجيهات القرآنية، وانحرافا عن القيم التي دعا الإسلام إليها.

٤- إن القراءة الفاحصة للنص القرآني يظهر لنا أن حسن القول ووجوب التحري والاستقصاء في تحقيقه يمثل المحور الارتكازي للخطاب المعتدل، والقاعدة الكلية العامة التي ندب القرآن أتباعه إلى اتصاف الخطاب بها، والأصل الذي يجب التقيد به، سواء مع الذات أو مع الآخر.

٥- إن وجوب اتصاف الخطاب بالحسن هو عام في الأحوال والأشخاص والأزمان والأماكن، مع المسلم وغير المسلم، البر والفاجر، وفي الخطاب الديني أو الدنيوي.

٦- دعا القرآن الكريم أتباعه إلى الترقي في الخطاب باختيار الأحسن من القول عند مواجهة لجاج الخصم وجدال المخالف، فيتحروا الغاية في الأفضلية في تحسين الخطاب صيغة ودلالة وتأثيرا وأداء. دون الاكتفاء بكونه حسنا في نفسه.

ISSN: 2071-6028

أهم المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين: الغزالي، القاهرة، سجل العرب، ١٩٦٧م. ودار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: تحقيق عبد القادر حسونه، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م.

٤- البحر المحيط: أبو حيان، بيروت، النصر الحديثة.

٥- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، تونس، دار سحنون.

٦- التفسير البسيط: أبو الحسن الواحدي، تحقيق مجموعة من طلبة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، القاهرة، مصطفى محمد، ١٩٦٨م.

٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٢م.

٩- جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.

١٠- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

١١- روح المعاني: الآلوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ب.ت.

١٢- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

١٣- سنن الترمذي (الجامع الصحيح سنن الترمذي): محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، مذيل بأحكام الألباني.

ISSN: 2071-6028

١٥- شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٦- شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا النووي، القاهرة، دار إحياء التراث، ١٩٧٢م.
١٧- شعب الإيمان: البيهقي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
١٨- صحيح البخاري: الإمام البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٩- صحيح مسلم: بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م.
٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، القاهرة، مصطفى البابي، ١٩٥٩م.
٢١- فتح القدير: الشوكاني محمد بن علي، بيروت، دار الكتب.
٢٢- الفرق بين النصيحة والتعيير: ابن رجب، دار عمار، عمان، ط٢، ١٩٨٨م.
٢٣- الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي، تصحيح إسماعيل الأنصاري، دار الإفتاء السعودية، ١٣٨٩هـ.
٢٤- في ظلال القرآن: سيد قطب، بيروت، دار الشروق، ٢٠٠١م.
٢٥- الكشاف: الزمخشري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٢٨- مسند أحمد بن حنبل: القاهرة، مؤسسة قرطبة، مذيل بتعليق الأرنؤوط وحكمه على الأحاديث.

ISSN: 2071-6028

٢٩- المعجم الأوسط: الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
٣٠- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣١- مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، طهران، دار الكتب العلمية، ب.ت.
٣٢- المفردات: الراغب الأصفهاني، بيروت، دار المعرفة، ط٤.
٣٣- النكت والعيون: الماوردي: تحقيق السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية.